المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 21 المسلسل : 77

ملف صحفي

خير خلف لخير سلف

السفير اللبنانية

من الملك بالمبادرة الى الملك بالموقف

السفير

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 21 المسلسل : 77

مات الملك فهد! عاش الملك عبد الله!

لكن المملكة التي اقامها والد الملوك، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود قبل ثلاث وسبعين سنة، واعطاها الاسم في حمى شعار الرسالة المقدسة التي شرفت بها ارضها، تتبدى الآن ثابتة الاركان، تستقبل قدر الله باطمئنان طاردا للخوف وبثقة بالنفس وبالدور الذي انتزعته بالحنكة وبالفهم العميق للظروف العربية والدولية، قبل الثروة وبعدها.

لقد استحقت هذه المملكة التي كان يغلفها الصمت، والتي كانت تعتمد اسلوب الهمس والايماء، وتبتعد عن الصراعات والخلافات مفضلة دور الساعي بالخير بين الاخوة، من دون ضجة او اعلان، الاقرار بجدارتها بالدور الذي انتزعته لنفسها بحكم روح المبادرة التي طبعت مسلكها في ربع القرن الاخير، والتي كان لفهد بن عبد العزيز ولي العهد، بداية، ثم الملك الشجاعة لان يُقدم ويتصدى متحملاً سوء التفسير او سوء القصد او سوء النية في تعليل هذا الدور الذي كان التقاعس عنه مصدر تساؤل مفتوح.

لقد لعب فهد بن عبد العزيز الدور الاول في التأسيس لما سمي في ما بعد الحقبة السعودية.. وهو قدم السياسة على الثروة في التعامل مع الغير، بعدما كانت المملكة الغنية بثروات ارضها ترتضي بأن تبقى في الظل فتهرب من الضوء ومن مخاطر الفشل في لعب الدور الذي تبرره بل وتفرضه عليها قدراتها وعلاقاتها العربية والدولية.. والأهم: حالة التردي العربي العام التي سرعان ما انعكست عليها بالمطالبة، بل والمحاسبة على شراء السلامة بالغياب عن مسرح الأحداث.

ولقد اقتحم ولي العهد الامير فهد الحلبة، كاسراً قوقعة الصمت بسلسلة من المبادرات التي كانت تعتبر حتى ذلك الحين من المغامرات التي يحسن تجنبها.

وهكذا ومع نهاية السبعينيات دخل حومة السياسة العربية، بأبعادها الدولية، وعلى غير توقع، لاعب جديد، سرعان ما تمدد دوره من الجوار القريب الى دنيا العرب على اتساعها، ثم تجاوزها في حالات مشهودة الى انحاء مختلفة من العالم بشرقه وغربه.

ولعل نقطة البداية الرسمية لهذه السياسة الجديدة تتمثل في مبادرة الامير فهد في قمة فاس الاولى، التي تعثر انعقادها، ثم امكن جمع الشمل على المبادرة بعد تعديلات في استهداءاتها حتى تم اعتمادها مرتكزاً للسياسة العربية الرسمية في الصراع العربي الاسرائيلي بأبعاده الدولية.

وبالتأكيد فإن مبادرة الامير عبد الله التي سرعان ما اتخذت لها اسماً من العاصمة التي عقدت فيها القمة العربية، بيروت، في آذار 2002، قد جاءت في السياق ذاته، مع الاخذ بعين الاعتبار التحولات التي كانت قد أصابت القضية الفلسطينية خصوصا والاوضاع العربية عموما من انهيارات في ظل التبدلات الهائلة التي شهدها العالم مع نهاية الثمانينيات واخطرها سقوط الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وانفراد القوة الاميركية بالعيمنة المطلقة على احوال الكون.

وأستأذن، هنا، في الاستشهاد بفقرات مأخوذة بنصها الحرفي من حوارين وجدتهما بعد اعادة القراءة متكاملين في الدلالات وتحديد توجهات المملكة في الحقبة التي حملت اسمها:

x الحوار الاول: مع ولي عهد المملكة الامير فهد بن عبد العزيز، وقد نشرته في السفير بتاريخ 9/1/1980، وكنت اجريته معه في الرياض، بعد أيام قليلة من احداث الحرم المكي.

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 21 المسلسل : 77

× أما الحوار الثاني: فمع ولي عهد المملكة الامير عبد الله بن عبد العزيز، وقد نشرته في السفير بتاريخ 2 حزيران 1997، وقد أجريته معه خلال زيارته الرسمية الاولى لبيروت آنذاك، في دارة الرئيس الشهيد رفيق الحريري.

× نقلت عن الامير فهد في اواخر ايام سنة 1979، ما حرفيته: أن صداقتنا مع الامريكيين تستند الى مصالحنا، ولكننا نمد أيدينا الى كل من هو على استعداد لمساعدتنا مع التسليم بحريتنا واستقلالنا.. ولن تقبل المملكة باقامة قواعد امريكية على ارضها، ولن تقدم اية تسهيلات للامريكيين ولا لغيرهم.

× ونقلت عنه ايضا قوله: انني مقتنع بقيام الدولة الفلسطينية، ودول العالم الاخرى، خصوصاً اوروبا، مقتنعة ايضا بأنه لا يمكن تحقيق الاستقرار الا بدولة فلسطينية. وكذلك بالنسبة لرجال الفكر في امريكا.

× وعن ايران الثورة الاسلامية، وقد كان عمرها شهوراً آنذاك، نقلت عنه قوله: ليست لنا اي مشاكل مع ايران، ونحن مرتاحون بعكس ما كان عليه الامر خلال عهد الشاه..

× أما عن الداخل السعودي، فقد نقلت عنه انه سيتم، خلال فترة قصيرة، تعيين مجلس الشورى، وسيقوم هذا المجلس بدراسة النظام الاساسي، اي ما يماثل الدستور للمملكة الذي يجري اعداده حاليا ويتكون من 200 مادة.

× وعن العلاقات العربية العربية نقلت عنه قوله:

وبحكم اننا كعرب لا نزال في دور تطوير الذات فلنفتش معا عن قواعد نسير عليها في تنظيماتنا الداخلية... ولا بد ان تتوفر للحاكم أو للمجالس النيابية أو القيادية، الراحة والطمأنينة بأن لا شيء سيفرض عليه من الخارج، وبأن احداً لن يحاول أن يثير مشاكل داخلية. وعندئذ سوف نصل الى التفاف عربي يحقق مصالح الجميع، وفي غياب مثل هذا الالتفاف لن تكون لمواقفنا الدولية الفائدة المرجوة.

. لولا ما نحن فيه لما كان معقولاً أن تنتصر علينا اسرائيل، بكثرتنا كعرب، وبالطاقات البشرية والمال والامكانات، ثم ان قضيتنا الحقيقية والاساسية، قضية الشعب الفلسطيني لم تعد قضية مهملة او غير معروفة.

ولا يجب في الواقع ان نقرر امورنا حسب هوى اية دولة أو اي زعيم من قادة العالم ومثلما يريد هو. يجب أن نقرر مصيرنا بأنفسنا.

اننا لا يمكن ان نتخلى عن اي دور يعهد به إلينا، اذا كان هذا الدور مقبولا من الامة العربية. يجب الا نتردد، وعلينا اختيار الطريقة التي يمكن أن تكون قيادية بالنسبة للسعودية فلنضعها في اطار واضح وصريح بحيث لا تكون موجهة ضد احد، بل لمصلحة الامة العربية.

× اما ولي العهد الامير عبد الله بن عبد العزيز فقد جاء في مقابلته التي نشرتها السفير بتاريخ 2/6/1997، ما حرفيته:

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 05-08-2005 العـــدد : 11739
الصفحـات : 21 المسلسل : 77

كنت مع وفد بلادي في قمة القاهرة، ولقد سمعنا معاتبات متعددة حول التلاقي السعودي المصري السوري، الذي له اهميته الاستثنائية ولكنه ليس محوراً، بل انه اسس لتلك القمة.

بصراحة، المسؤولية ليست على المواطن العربي. المسؤولية على الزعماء. المواطن يشعر بالاسى ويتحرق، ولكنه لا يملك القرار. ثمة بين هؤلاء الزعماء العرب من يتصرف او ينظر الى نفسه وكأنه الزعيم الاوحد.

.. لقد جاءنا الاخوان في قطر يسألوننا المشاركة في المؤتمر الاقتصادي للشرق الاوسط، فنصحناهم بأن يصرفوا النظر عن هذا المؤتمر، طالما انه مصدر خلاف عربي عربي. قلنا لهم ان المؤتمر سيؤذيهم. وابلغناهم اننا ومعظم العرب لن نشارك، وابلغونا ان ضغوطا قوية تمارس عليهم لعقده في الدوحة.. فقلنا ولكنكم تستطيعون ان تبلغوا من يضغط عليكم ان عليكم ضغوطا مقابلة من العرب. ان الضغوط توازن الضغوط.

.. ونحن على صداقة مع الاميركيين، وهذا امر معروف. لكننا نحن من نعرف مصلحتنا، ولا يمكن ان نقدم مصالحهم على مصالحنا، اننا عرب، ومصالحنا مع العرب والمسلمين.

.. ان الاميركيين اصدقاؤنا، لكن لنا سياستنا ولنا مصالحنا. وفي حالات كثيرة كنا مضطرين لابلاغهم، بمنطق الصديق: لكم سياستكم ولنا سياستنا، لكم مصالحكم ولنا مصالحنا. هل تريدون اصدقاء ضعفاء لا ينفعونكم ويشكلون عبئا عليكم، ام تريدون اصدقاء اقوياء؟ اما نحن فنفضل ان نكون بين اصدقائكم الاقوياء.

اما عن لبنان فقد كان منطق التعاطف والتعاضد والاستعداد للمساعدة جليا وقاطعا لدى الاميرين وليي العهد فهد وعبد الله بن عبد العزيز.

وإذا كان لبنان يحفظ للملك فهد دوره التاريخي في التمهيد للحل السياسي، عبر رعايته لمؤتمر الطائف، فإنه يحفظ للامير عبد الله انه جاء الى بيروت، اكثر من مرة، وانه اكد استمرار الرعاية، ثم اطلق منها مبادرته التي تبناها العرب جميعا، وطافوا بها يحاولون اقناع العالم بها، لكنهم اصطدموا بالصد الاميركي وبالرفض الاسرائيلي.

وفي الحوارين مع الاميرين اللذين صارا ملكين كان المنطق ذاته بالنسبة للبنان: التحذير من الطائفية، والالحاح على وحدة لبنان والحفاظ عليه لتأكيد منعته، مع التأكيد ان الطائفية مرض خبيث تعود باله منه.

وفي استذكار لآخر مرة زار فيها الامير عبد الله بيروت، ننقل عنه قوله:

كنت في الخارج، حين اغتيل الملك فيصل (شباط 1975) فقطعت رحلتي وعدت عن طريق بيروت. كانت تتنفس دخان الحرب، واعتصرني الالم وأنا الاحظ انه لم يعد سبيل الى منع الانفجار. كانت نذر الحرب الاهلية في الافق، وكنت في الطائرة رفيق الحزنين: الحزن على الملك فيصل، والحزن على لبنان.

... ولبنان شريك، الآن، في الحزن على الملك فهد. وهو ايضا اذ يتمنى النجاح للملك عبد الله في مواصلة التقدم بالمملكة نحو ما تستحقه من مكانة، لا سيما وقد تحقق الكثير من الخطوات التي تعهد بها سلفه الراحل الكبير لاشراك الشعب في سلطة بلاده، يفترض ان الملك الجديد سيضيف الى ما قدمه الملك الذي ذهب الى ربه راضيا مرضيا، ما يعزز وحدة لبنان وهويته من اجل الا يصيبه الحزن على لبنان اذا ما جاءه، قريبا، ليصالحه مع ذاته ومع اهله.

طلال سلمان